رسائل ومقالات

الشعراءُ والشعر العربى

لحضرة الكاتبة الفاضلة الآنسة مريم خالد وكيلتنا فى دير القمر وجبل لبنان.

تابع ما قبلهُ

ولقد طالما سمعت من البعض كلامًا ذم بهِ شعر الجاهليَّة من حيث أنهُ ليس مدركًا عند الكثيرين جاعلين عدم الإدراك خللاً بالفصاحة لبعد ألناظهِ عن مسموعاتهم وغرابتها عن ساحة مسموعاتهم وهكذا شأن كل غريب.

والحقيقة خلاف ذلك وليس شعراءُ الجاهليَّة بملومين على صنيعهم، فإن كلامهم الذى نحسبهُ فى حيز الغريب كان مدركًا مفهومًا من أبناءِ جنسهم فى تلك العصور، غير أنهُ لا يخلو قليلهُ من النافر القبيح وهذا وإن كان لا يمنع من فهمهِ مخلُ بالفصاحة بالإجماع كقول الشنفرى فى لامية العرب:

دعست على غطش وبغش وصحبتى سعارٌ وارزيزٌ وحرٌ وافكلُ

وأين هذا من قوله:

وليلة نحس يصطلى القوس ربها واقطعهُ اللواتى بها يتنبل

وهل أحسن من هذا الاصطلاءَ

وقانون الفصاحة لا يضع ما كان غير مفهوم أو ما يحتاج معهُ إلى كتب اللغة فى مرتبة غير الفصيح، فإن المخل بالفصاحة يشمل النافر فى السمع الثقيل فى النطق وقد كان كلام العرب الذى نحسبهُ كالألغاز سهل المأخذ عندهم لا يحتاجون معهُ إلى كتاب يرجعون إليهِ أو عالم ينقلون عنهُ إلاَّ ما كان من شعر أميَّة ابن أبى الصلت، فإنهُ أتى بالكلام غير المعروف عند العرب وعليهِ، فاللغويون لا يستشهدون بهِ حذرًا من

الوقوع بما لا تحمد عواقبهُ من الخلل فى الكلام وارتكاب الخطأ الفاضح.

وقد كان العرب شديدي المفاخرة بشعرهم ولا يحسبون لغيرهم فى النظم حساباً وقد بقيت الخلة مستكنة فى نفوس نسلهم من السادات المسلمين وغيرهم حتى إنهم مع ولوعهم بنقل ما كتبهُ الحكماءُ منْ قدم يونان وغيرهم لم يقفوا لينظروا فى شعر هوميروس الشهير الذى قد نقل إلى أكثر لغات الأمم المتمدنة مع أنهم غاصوا وراءَ حكمة اليونان ونقلوا إلى العربيَّة ما شاءوا منها كأقوال أرسطو الحكيم وغيره من فحول اليونان، وما ذلك إلاَّ لأنهم كانوا قليلى الاعتناء بما كتبُ غيرهم فى هذا الفن، فكأنَّهم كانوا فى غنى عن ما هو دون بضاعتهم على زعمهم.

وأما من حيث مواضيعه فالشعر العربى أنواع مختلفة وضروب متباينة، كالمديح والفخر والهجاء والحكم والغزل والرثاء من الأسماءِ إلي غير ذلك مما أضيق ذرعًا دون حصره، وقد اختلف الشعراءُ من هذا القبيل فالبعض فاق الآخرين بالمدح وهذا تقدم عليهم بالغزل وذاك فى ذات أمور تاقت غالبًا عن حسن ذوق الناظمين وتباين الظروف الَّتى تحيط بهم من حيث هم شعراء.

وقد أجمع الجمهور على أن أجمل الشعر ما كان بسيطًا سهل المناولةُ خاليًا من ركاكة اللفظ وغلط من خالف ذلك، وقال بعضهم أن المتنبى بلغ من المنزلة ما بلغ فى عيون القوم بما كان يأتيهِ من عويص الكلام والأمر بالعكس، فقد غلَّط الكل المتنبى حيث أتى بمثل الجرشّ مع إمكان الإتيان بكلمة النفس، وهى لا تنقص عن معنى تلك وبها من سهولة اللفظ وسرعة الفهم ما لا يوجد فى الجرشّ وأمثال هذه كثيرة فى شعره.

غير أن المتنبى جعل منزلته بحسن وصفهِ وجودة معانيهِ وبديع تصوراتهِ وجزالة ألفاظهِ فى مواطن الفخر والمديح وذكر الهجاءِ ونزوعهِ إلى الرقيق فى مقام التغزل والعتاب، فهو فى الأول كالصخرة الصمَّاءِ وفى الثانى أرق من سلاسة الماءِ.

والشعر ملكة فى الإنسان توجد فيه بالطبع ويحسنها شأن كل الملكات ما يطرقها من الدرس والمطالعة والنظر فيما نظمهُ القوم السلف، فكأنها جوهرة ثمينةيزيد حسنها بما يحيط بها من الجواهر الأخرى الَّتى هى أقل قيمة منها.

ودليلى على أنها ملكة طبيعيَّة ما نراه من حصول الإنسان عليها، وهو يعد فى حالة البربريَّة بخلاف غيرها، فإن كل الأمم على اختلاف طبقاتها وتباين مشاربها تبدأُ كلامها بالشعر وأقدم محفوظاتها منهُ، وذلك لأنهُ لا يمكن تحريفهُ بسهولة لما يصير إليه من تغير الأوزان وعدم استقامتها بخلاف النثر كما يرى جليًّا بالامتحان ولا يعلم حقيقة من نطق أولاً بالشعر العربى إذ التاريخ بذلك غير موثوق بهِ والعلماءُ على اختلاف فيه ولا محل ولإيراد آرائهم على كثرتها فى هذا الشأن.

وأطرب الشعر ما كان اسماهُ قصورًا بحيث يسير فى عالم الخيال ويمس حاسات النفس الداخليَّة، فيؤَثر فيها الحزن والفرح الداخلى غير المنقطع ويلقى عليها المهابة ويغشيها بغشاء العظمة، ولهذا السبب فضل شعراء اليونان غيرهم مِنْ زملائهم، فقد غاصوا طويلاً وراءَ المعانى الفكريَّة الدقيقة حتى عادوا بأجملها وأرقها وصعدوا فى ذلك التصورات وتناولوا الدرارى فأضافوها الى شعرهم وأتوا بالدر، فصاغوهُ شعرًا نفيسًا.

وهم معلمو الشعر لأهل أوربا قاطبة بحيث يرجعون إليهم فى أخذ المعانى ويقتفون آثارهم فى حسن السبك وطرق الاستعارة.

ولا ريب أن الظروف المحيطة بالشاعر تؤَثر تأْثيرًا بينًا فى شعره، فإن شعراءَ الجاهليَّة أكثروا من ذكر المطى والدار والمنزل والعريمة إلى غير ذلك ممَّا لا يوجد إلاَّ فى الصحراءِ والبيداءِ وأما شعراءُ الاندلس فنقلوا إلى شعرهم تغريد الأطيار وخرير الماءِ وجمال الربيع ونقشوا شعرهم نقشًا بديعًا يماثل هيئة البلاد الَّتى قطنوها.

ومِنْ غريب الأمور أن للشعر فى كل اللغات وأكثرها عصوراً تمتاز بحسن شعرها، فيصح أن تسمى بالعصور الذهبيَّة للشعر: ففى الشعر العربى قد امتاز عصر الجاهلية وعند قوم اليونان عصر هوميروس وما بعدهُ بقليل عند اللاتين عصر فرجيل شاعرهم.

وهكذا فى اللغات الحديثة، فعصر الإنكليز الذهبى هو عصر شكسبير من أعظم شعرائهم غير أنهُ نبغ عندهم بعدهُ فحول من الشعراءِ كملتون وبيرون وتيسون وغيرهم وأما الافرنسيس فنبغ منهم جملة شعراء وأعظم شعرائهم بهذا العصر هو فيكتورهيكو.

وعلى ما ترى أن الشعر أخذاً بالتأخر بتقدم الأجيال، ولعل السبب بذلك عائد إلى انهماك العالم المتمدن بالأعمال وأخذهم بناصر الميكانيكيات، فالناس فى عصرنا الحاضر يقرأون ثمرة العصور الغابرة، وقلما يلتفتون إلى ما أنتجتهُ القرائح الخاملة فى هذه الأيام، ولعل هذا أيضًا من جملة التوفيقات لأن الكماليات كالشعر وإن تكن ذات أهمية فى تثقيف عقول البشر، فهى بدون فائدة فى تقدم العالم الأساسى فإن ولترسكوت الشاعر العظيم والمؤلف الحاذق كان يقر بأن العظيم فى عصرهِ لم يكن من ألف روايات هذا عددها بل اعترف أن جمس وط محسن الآلة البخاريَّة هو ذلك الرجل الفريد، ومع ذلك فلا نعلم ما سيكون من أمر الشعر فى المستقبل إن ذلك لمتمكن فى علم الغيب ولا يعلم الغيب إلاَّ اللّه سبحانهُ وتعالى.

الزوجان

(أو الرجل والمرأة)

من استعرض أجناس البشر على اختلافهم فى الجنس واللون وتباينهم فى الصورة والهيئة وتفاوتهم فى الطبائع والأخلاق والعوايد والتقاليد والمشارب والمذاهب

والأميال والغايات، يقف فى مكانه محتاراً يلاعبهُ تيار الاستغراب بين عوامل الآراء والأفكار فى كيفيَّة تسلسل العالم من أبوين أبدعهما الخالق عز وجل فى البدء، زوجان لا يعرفان الخير من الشر وكلاهما بلون واحد وهيئة واحدة ولما عرفاهما واقترنا كان لهما من وراء هذا الاقتران وتلك المعرفة نسل بلغت ذريتهُ فى أيامنا هذه نحو ١٥٠٠ مليون نفس، وهى منتشرة فى القارات الخمس أى آسيا وأوربا وإفريقية وأمريكا وأوستراليا ولكن إذا أمعن الإنسان النظر وجال الفكر فى نظام هذا الكون وسلسلة هذا التناسل لا يلبث أن يسلم أولاً بقدرة صاحب الحكمة السامية الَّتى أوجدت هذا النظام وحبتهُ روح النمو والارتقاء بواسطة الزواج والايلاد، ويعترف ثانيًا بفضل الزوجين بدون امتياز أحدهما وتفضيله عن الآخر لأن اللّه تعالت قدرتهُ خلق من الماء الجماد، ولما كان الجماد كفوءًا للنبات أوجد النبات ولما كان النبات كفوءًا للحيوان خلق الحيوان ولما كانت هذه المخلوقات كفوءًا لخدمة الانسان أبدع الإنسان ولما كان الإنسان لا يقوم فى الحياة الدنيا بدون شريك وأليف أخذ سبحانهُ وتعالى ضلعًا من أضلاعه وجعله له امرأة تشاطرهُ السراءَ والضراءَ وتشاركهُ فى البؤس والنعيم ويكونان الاثنان جسداً واحداً بدون أدنى تمييز بينهما.

فإذا علمنا ذلك وحكمنا بصحة هذه السلسلة المرعيَّة فى أكثر الأديان والمذاهب وجب علينا أن لا نبخس المرأة حقها الطبيعى وأمرها الشرعى اللذين يقضيان بأنها والرجل واحد فى الحياة الدنيا، وهما كالحلقة المستديرة لا تقدر أن تعرف طرفيها حتى تميز الواحد عن الجزء الثانى منها.

ولو أغمضنا الجفن عن هذه الحقائق الَّتى أجمع عليها أئمة الأديان والشرائع العموميَّة والتفتنا إلى هذه المسألة لفتة طبيعيَّة نرى أن الرجل كالمرأة والمرأة كالرجل وكلاهما متساويين فى تركيب الدماغ ولا فرق بينهما فى الدقة والاستحكام.

نعم إن الرجل أقوى من المرأة عصبًا وبطشًا واقتداراً بالنسبة لغلظة عضلاته

وتركيب هيكل عظامه، ولكن ذلك لا ينبغى أن يكون أساسًا لاحتقار المرأة واعتبار الرجل حتى نستند عليه ونركن بالبرهان إليه، بل كان سببًا وحيدًا جعل الرجل حاكمًا فى البدء على المرأة سائدًا على حقوقها مستندًا بأمرها شأن القوى السائدتجاه الضعيف المستعبد.

هذا ما أورث النساءُ الخمول والخضوع وأشاد للرجال قصورًا من الخيلاء والعجرفة حتى وصلوا إلى ما وصلوا ولم يبرحوا يتفننون بدروب التكبر وضروب التجبر جاعلين لأنفسهم صفتى الامتياز والتفضيل على النساء، فتأخرن عنهم بالعلوم والمعارف حيث حكم عليهن بالتحجب فتواربن عن اكتساب ما اكتسبهُ الرجال بواسطة التعليم والمداخلة من دواعى التقدم والارتقاء.

ولا غرو فإن المرأة كالمرآة الجميلة النقيَّة من كل كلف الَّتى لو تركت حينًا من الدهر فى زوايا البيت بدون التفات إلى تنظيف زجاجها وما حولهُ يومًا فيومًا من درن الأبخرة الَّتى تنبعث إليها ومن هباء العثير الذى يتصاعد ويتراكم عليها، لذهب رونقها وضاع جمالها وتخدش وجهها وعلاها الكلف والصدى حتى تصير قبيحة المنظر قليلة الاعتبار، ولكن لو أدركت يوميًا بالجلاء والالتفات لحفظت مركز جمالها وازدادت رونقًا وقيمة واعتباراً، فمثلها اذن كمثل المرأة الَّتى لو ظلت متحجبةً فى زوايا بيتها مهملة من ذويها وأهلها لا تلبث أن تظلم أفكارها ويستولى على مداركها الجهل والغباوة حتى تعدم مزية الجمال الأدبى بقوة السذاجة والبساطة وتحرم معرفة الواجب، فتربى أولادها على مهد الخمول والدلع فيشبون على مبادئها لا يعرفون الكوع من البوع، خلافًا للمرأة الفاضلة الَّتى تزيد جمالها بجمال العلوم والمعارف وتربى أولادها على عرش المبادىء الصحيحة فيشبون ويشيبون على ما يرام من الرفاهيَّة والنجاح ويعرفون فى حياتهم كيف تؤْكل الكتف، فيدخلون البيوت من أبوابها ويقطفون من رياض علومهم ومعارفهم ما يقطفهُ النحل بجده واجتهاده من الشهد والعسل، وبسبب الضغط على

أفكار المرأة فى بدء الأمر قد تولد فى أحشائها الجبن، فطأطأت رأسها لأحكام الرجل معترفة لهُ بالسيادة والفضيلَّة عليها، وقد انتقلت جرثومة الخوف من السلف إلى الخلف حتى بلغ فى أعصر الخشونة شأواً كانت فيهِ المرأة تجاه رجلها أمة يفعل بها ما يريد من الإهانة والضرب والاستبداد لدى اضطراب تيارعواصف الكدر والاشمئزاز من أمر صدر منها أو من غيرها، ولكن لما تغيرت تلك الطباع وتهذبت مع كرور الأيام والأزمنة تحسنت أحوال المرأة وأخذت بالارتقاءِ رويداً رويداً حتى وصلت لما وصلت إليهِ فى عصرنا الحالى الذهبى من الاعتبار والاحترام ومعرفة الواجبات والعلوم والفنون حيث علمت بأن الحسن والجمال الطبيعى لا ينفعانها طويلاً إلاَّ إذا كانا مقرونين بالحسن والجمال الأدبى لأن العاقلة الفاضلة منهنَّ هى لرجلها وعائلتها وأولادها بل للهيئة الاجتماعيَّة عمومًا الحصن الأمين والكنز الثمين.

هذا ولما أدركت المرأة فى وقتنا الحاضر ما لها وعليها من الواجبات تنشطت وتقدمت بملءِ الرغبة والاجتهاد إلى المدارس، فاقتبست منها درر العلوم والفنون والمعارف والآدب حتى تمكنت من الارتقاء إلى مدارج الاعتبار ومعارج الافتخار فانعكفت على تربية بنيها وتهذيب بناتها حتى يخرج من بين أيديها فطاحل العلماء ورجال السياسة وأبرع الخطباء وأمهر الصناع، فأدهشوا العالم بنفثات أفكارهم ورفعوا معالم العلم بغرائب أعمالهم وسحروا الألباب ببديع اختراعاتهم ولسان حالهم يعترف للمرأة بالفضل العظيم.

نعم لا ننكر أن النساءَ على ثلاثة أقسام (عواهر وقواهر وجواهر)، ولكن إذا بحثنا عن أسباب هذه الصفات الثلاث نراها صادرة عن أمرين ألاوهما: الإهمال والالتفات، فبالا همال وعدم الاكتراث بتربية البنات وتهذيبهن منذ نعومة أظفارهن كان القسمان الأول والثانى وبالالتفات وحسن التربية والتعليم كان القسم الثالث. ولنضرب صفحًا عن القسم الأول منهن لأنه ساقط بالطبع منْ حقوق الاحترام فى هيئة الاجتماع

الإنسانى ونظام المجتمع الأدبى كأنهُ لم يكن فى عالم الوجود شيئًا مذكورًا، وأما القسم الثانى فيحتاج إلى مزيد الاعتناء لاستئصال مكروب الفساد من عقله وقطع كل الأسباب التَّى من شأنها أن تضرم فى جوفهِ نار الغيظ والحقد وتثير فى أحشائهِ عوامل القهر والكدر، وهذا يقتضى له حكمة عظيمة حتى يصل إلى حيز المرغوب، فالويل كل الويل للرجل الذى يقوده نكد الحظ إلى الاقتران بفتاة من أعضاء هذا القسم فإنها ستكون لهُ آفة سماء مبعثرة لمالهِ وثروتهِ ومفسدة لبيتهِ وذريتهِ ومثلها معهُ كمثل السوس فى الخشب، فكما ينخرهُ حتى يفسدهُ هكذا المرأة القاهرة تكون نخرًا فى عظام زوجها وقلقًا لذويهِ وجيرانه خلافًا للمرأة التى هى فى القسم الثالث، فإنها جوهرة لا يقام عليها ثمن حيث يسرها ما يسر بعلها ويحزنها ما يحزنه، وهى التى يقال عنها أليفة العمر ورفيقة الحياة ومثال اللطف والرقة وزينة البيت وبهجة العمر وسيدة البيت وربة المنزل وهذه هى الجديرة بأن تكون شريكة رجلها فى العمل والرأى والفكر، ويحق لها أن تطلع على سره وجهره كما يحق لهُ أن يطلع على سرها وجهرها، وهى بما لديها من الفضل والنبل حرة بأن تكون عالمة بأشغال قرينها الداخليَّة والخارجيَّة ولها الحق المطلق أن تفتح رسائل زوجها تجارية كانت أو خصوصية، كما يحق لهُ أيضًا أن يفض رسائلها الخصوصية على اختلاف مصادرها ومواردها بشرط أن يكون الزوجان متفقين فى المبادي والأميال والإخلاص والعفاف لا يهمها إلاَّ راحة أولادها وترتيب منزلها لأن الرجال يتفاوتون فى الكماليات كما يتفاوت النساء فى معرفة اللزوميات والواجبات.

هذا ما عن لى إيراده أدونهُ فى هذه العجالة ردًّا على السؤال المتدرج فى الجزء الحادى عشر من مجلة الفتاة الغراء وهو:

(هل يجوز للرجل أن يفض الرسائل الواردة باسم زوجتهِ أم لا؟)

تاركً الحكم بصحة روايتى وعدمها لحضرات الألباءِ الأفاضل والسلام ختام.

(انطون نوفل)

(السيدة إميلى سرسق)

لما كان الثناء على الفضيلة أمرًا واجبًا والإطراءُ بمآثر الكرام فرضًا لازما رأينا أن نزين صفحات الفتاة بقلائد مآثر هذه السيدة العظيمة الشأن الرفيعة المكان درة تاج اللطف والجمال وواسطة عقد الفضل والكمال ربيبة بيت المجد كريمة الأبوين والجد قرينة جناب الوجيه الشهير جورج أفندى موسى سرسق من كبار أعيان مدينة بيروت فإنها شبت فى منازل لها من الاعتبار فى القلوب منازل، وقامت قبل وبعد الاقتران بفضل تبهر الأبصار أنواره وإحسان تدهش الأفكار آثاره يتدفق من سماء جودها غيث البر مدرارًا يفيض على اللائذات والعائزات جداولاً وأنهارًا، فيغسل وضر الفقر ويزيل كدر العسر وقد اشتهرت هذه العقلية بالنبل والعرفان كما اشتهرت بالبر والإحسان حتى طارت أخبار فواضلها فى الشرق والغرب، وأجمعت الألسنة بالبعد والقرب على الترنم بعرف محاسنها وإحسانها وسامى لطفها وعظيم آدابها كما قال الشاعر:

فى الغرب شمس للنهار نظيرها　　فى الشرق شمس ليس يغرب نورها

وقد تباهت الفتاة فى عددها العاشر بوسام الصليب الأحمر الذى أنعم به جلالة قصير روسيا المُعَظَّم على هذه العقيلة الحسناء، والآن نشفعهُ بأداء واجب التهنئة لقاء ما أحسن إليها من مراحم سيدنا ومولانا السلطان الأعظم بنشان الشفقة من الطبقة الثانية الذى جاء رمزًا لطيفًا يشير إلى أن الشفقة الَّتى غرست فى فؤادها قد رصعت يد المليك صدرها إعلانًا بفضلها.

أما الفتاة فتترك وصف مآثرها إلى المقالتين الواردتين إليها مِنْ حضرة السيدة البارعة مريم مزهر وجناب الأديب البارع فتح اللّه أفندى جاويش، وكفى بهما إيضاحًا وتبيانًا. وهذه هى المقالة الأولى.

(المرأة الفاضلة من يجدها ثمنها يفوق الآلى)

نهاية التهذيب (فى رأى توماس واكر) أن تصير المرأة واسطة سعادة أولاً لذاتها ثم للآخرين، وهذه هى المرأة الفاضلة بل هذا تعريفها الصحيح وأراهُ ينطبق تمامًا عَلَى حالة سعيدة وصلت اليها امرأة فاضلة وسيدة كاملة وجيهة بين قومها، ممتازة بين بنات جنسها جامعة بين سعادة ذاتها البيتيَّة وسعادة الآخرين، لم يبطرها اتساع الثورة ولا أقعدها اللهو عن نفع الإنسانيَّة، فكأنى بها اعتبرت تلك الثروة نعمة من اللّه وجب عليها أن تشارك فى منافعها بنات جنسها أريد بها حضرة العقيلة الفاضلة اميلى سرسق روجة جناب الوجيه السرى جورج أفندى موسى سرسق المتمول الشهير.

ويحق لأهالى بيروت الافتخار لوجود هذه الفاضلة فى مقدمة نسائهم اعتقاد أن المرأة الفاضلة هى مهذبة الجيل ومربية الخلق وأعظم مهماز لإعلاء شأن النشاط فى نفوس الرجال، فمن صدر المرأة تهب أول الحياة الإنسانيَّة، ومن شفتيها تقبل أول كلماتك وبيديها تمسح أول دموعك وبأذنيها تسمع آخر تنهداتك.

إن السيدة الفاضلة اميلى سرسق قد وقفت فى حالتها الدنيويَّة فى موقف تنفر منهُ الرجال كما قال بيرون .

وما أدراك ما هو موقفها – فأمست بين عشيراتها الفتيات المواسرات اللاهيات بملابسهنَّ وزهورهنَّ وإسرافهنَّ، فاستطاعت أن تساويهنَّ فى المنزلة العالميَّة مِنْ حيث المقام الذى يجب أن تكون فيهِ بنسبة شرف عائلتها ووفرة ثروتها.

على إنها امتازت على كثيرات مِنْ نظيراتها من بنات جنسها فى تخصيص بعض وقتها ومالها وشهرتها ونفوذها الأدبى فى نفع الغير وخصوصًا المحتاجات من بنات جنسها، فعمدت إلى مجارات نساء الغرب على حداثة المدينة عندنا، فألفت بعنايتها وتشويقاتها جمعيَّة زهرة الإحسان، وما برحت منذ ذلك العهد دائبة على ترويج

الأعمال المفيدة وخصوصًا أنها أخذت على عهدتها العناية بمدرسة زهرة الإحسان لبنات طائفة الروم الأرثوذكس فى بيروت تنفق عليها المال والوقت الذى جرت عادت نسائنا المثريات أن ينفقنهُ فى سبيل الزينة الزائلة والمجد الفارغ.

والذى أردتهُ بقولى أنها وقفت فى موقف تنفر منهُ الرجال أنها تأبى وتكره كرهًا شديدًا المقامرة الداء العقام الذى تفشى بين المثريات والأغنياء من الرجال فى هذا الثغر، وهو إقدام منها وعزم ونشاط يعرف قيمتهُ وأهمية الحرص عليهِ من عرف تأصل هذا الوباء فى قلوب وعقول الأغنياء، وهكذا فقد حق لها أن تفتخر لامتيازها بهذه الفضيلة كما أنها جمعت محاسن الفضائل.

فحق لها أن يصدق فى وصفها قول (برانت) فى أن الفضيلة تصيَّر المرأة ذات حق للدخول في عضوية الملائكة.

وبعد أن بينت ما تقدم لا تعجب أيها القارئُ إذا كانت حضرتها قد وصلت بمزاياها الحسان إلى إحراز أشرف نشان من أعظم سلطان ملأ فضلهُ الأكوان (أيد اللّه شوكتهُ مدى الدوران) الذى أنعم عليها مؤَخرًا بوسام شففت من الطبقة الثانية وهى حكمة سامية من مصدرها، فإن وسام الشفقة أعظم جزاء وبرهان على إشفاقها على البائس والفقير وأخذها بنصرة العلم والأدب، فهى تقضى كثيرًا من وقتها فى مراقبة مجرى أعمال الزهرة الَّتى غرستها فى حديقة الأدب والفضل وفى مطالعة الجرائد والكتب، ولها حديث عذب رقيق يدخل الآذان بدون استئذان معروفة باتساع معارفها وسموّ مداركها تمثل المرأة فى دورها الحالى المتقدم.

ولما كانت الفتاة جريدة النساء المعروفة والأولى والرسميَّة للمرأة كانت أولى بنشر هذه المزايا الحسان تنشيطًا للواتى يفعلنَ الخير والمبرات وتهذيبًا للواتى فى وسعهنَّ العمل المفيد لو جرين على القاعدة المثلى الَّتى تعلقت بها حضرة الفاضلة عقيلة سرسق المشار إليها.

ويسرنا أن حضرة هذه الحصينة جارت زوجها الوجيه فى التقدم والعظمة، فكما أنهُ امتاز فى الوجاهة والثروة فى شرقنا، كذلك امتازت حضرتها فى العناية بالعلم والأدب والحرص على الفضل فجعلت نفسها قدوة لغيرها، ولا أنكر أن بعض النساء المصونات حصلن على هذا الوسام العالى الشأن أو أعظم منهُ لكن الاستحقاق الذى جعل عقيلة سرسق أهلاً لإحرازه يجعلها ممتازة والأمل أن يكون نشاطها وعملها ومكافأتها من الذات الشاهانيَّة العليَّة أعظم سبب لإقبال النساء عَلَى الاقتداء بها فيدرك بنات جنسنا المقام الذى نسعى للحصول عليهِ.

وسأُواصل الفتاة إن شاء اللّه من حين إلى آخر بوصف أعمال حضرتها وما يحصل من نتائج مساعيها الخيريَّة، واذكر لكم فى رسالة ثانية وصف مطول مهم عن حضرتها وأعمالها فى مدرسة زهرة الإحسان.

وفى الختام أقول إن إحسان مولانا الخليفة الأعظم على حضرتها فى هذا الوسام العظيم فيهِ اتفاق غريب كما هو فى الأبيات الآتية:

لاميلى مآثرٌ ناطقة بشكرها

بها استحقت نعمة جزاءً بادى برها

شفقة موضوعة من ربها فى صدرها

اهدى لها سلطاننا مثالها لنحرها

فظاهر الصدر حكى باطنهُ لفخرها

بيروت فى ٢٠ اذار سنة ٩٤ (مريم مزهر)

أما المقالة الثانية فهى :

المرأة الفاضلة كنز ثمين

لقد دلت الشرائع الدينيَّة والمدنيَّة بأن عمل الخير لازم لأن فيهِ حفظ النظام وإتمام الواجبات المتبادلة ولا سيما بين أبناء الجنس والنوع ومن مقتضيات التمدن مراعاة هذا العمل لتنظيم الهيئة الاجتماعيَّة الَّتى هى جامعة الكمال بالنسبة إلى الجنس عمومًا والنوع خصوصًا.

ومن أجل المبادىء الشريفة والوسائل الفضلى لنيل رتب الكمال والوصول إلى اسنى معارج الفلاح وسيلة جليلة يحكم بها نظام الهيئة هى إعالة المساكين ومساعدة المحتاجين وأخصها إيجاد المدارس، فإنها القائد الأمين إلى تلك المبادىء التى يتولد عنها منافع جمة وفوائد عميمة.

وقد كانت المدارس بادىء ذي بدء موقوفة لخدمة الرجال فقط دون النساء على أن ذلك كان باعثًا على إضاعة الفوائد المعول عليها فى عالم الآداب لأن التربية للأم لا للأب. بيد أن العصر الحميدى الأنور أبى إلاَّ أن يجعل مساواة فى التهذيب والتربية بين الجنسين، فحركت الأريحيَّة أربابها، فانشأُوا للجنس اللطيف صروح المدارس فانتظمن فى سلكها وكان ما كان من أمرهن وإفاداتهنَّ

ولما كنت قد أبنت والعهد غير بعيد بآخر إعداد اللسان الأغر واجبات المرأة الفاضلة العاقلة الحكيمة، وما ينجم عن عملها وآدابها وعلومها من المنافع العظيمة، وإنها قادرة على إصلاح الهيئة الاجتماعية وتهذيب النوع الإنسانى لأنها هى الواضعة للمبادىء الاساسيَّة فى عقول الأطفال وعلى حسن مباديها يكون تقدم الشعب ولحسن الطالع لم تخل مدينتنا من نساء مهذبات معلمات عارفات واجباتهن منهن حضرة

المحصنة الفاضلة اميلى سرسق عقيلة جناب الوجيه جورج أفندى موسى سرسق المشهور فى عمل المبارات والمساعى الخيريَّة، فإن حضرتها قد امتازت بعلومها وأدبها وفصاحتها وتحلت باللطف والرقة والشفقة والحنان واشتهرت بكرامة الأخلاق ولين الجانب والتقوى والصدق والرزانة وحب الإحسان، ولا غرابة بقولنا لأن أعمالها وحسناتها أكبر برهان، فإنها رأت منذ أربعة عشر سنة أن مدارس البنات حصرت فى أولئك اللواتى خدم اليسر آبائهنَّ دون اللائى هجر الوضاح ربوع والديهنَّ، فحركتها الغيرة وفتحت مدرسة خيريَّة رحبة الأنحاء بديعة الترتيب تامة النظام جمعت فيها عدداً وافراً من الطالبات ياكلن ويلبسن وينمن ويتعلمن ويتهذبن بفضل هذه الفاضلة الشريفة المصونة.

ويدرس فيها علم الديانة والعربيَّة بفروعها والفرنسويَّة والانكليزيَّة وفن التاريخ والحساب والجغرافيا والكتابة والإنشاء ثم اشغال الخياطة والتطريز والتصوير ثم خدمة البيت وترتيبه وتنظيمه وما شاكل ذلك وفيها من الترتيب أتمه والنظام أحكمه فالتهذيب كامل والعلم شامل والنظافة عجيبة. والحق يقال إن ليس السمع كالعيان.

فمن تراهُ لا يطلق القلم واللسان ناشراً أفضل الثناء وخير المديح على هذه الفاضلة الَّتى أتت فعلاً جميلاً، قضى لها عدلاً بالفضل والافتخار على كثيرات من أبناء جنسها وهى غير آسفة على بذل الدرهم والدينار، ولا على إضاعة الوقت بل مهتمة غاية الاهتمام بتقدم ونجاح بنات وطنها ونراها يوميًا تزور مدرستها وتتفقد الطالبات لاستماع دروسهنَّ والاعتناء بتهذيبهنَّ، منتخبة بدرايتها معلمات مهذبات متأدبات جامعات أفضل الخصال ليعلمن الطالبات. هذا فضلاً عن عملها المبرات بإغاثة الملهوف ومساعدة الأيتام وزيارة المرضى وما شاكل من الأعمال الخيرية الَّتى تذكر فتشكر مما يشهد بفضل هذه السيدة، ويا حبذا لو اقتدى بها كثير من نساء بلادنا ولو عن غيرة لتعم الفائدة.

ولما كان فاعل المبرات يجازى على عمله شملت مراحم سيدنا ومولانا الخليفة الأعظم هذه العقيلة الكريمة بالإحسان إليها بوسام الشفقة من الدرجة الثانية جزاءَ لخدماتها العديدة، وقد نالت منذ أمد غير بعيد من عظمة إمبراطور روسيا وسام الصليب الأحمر.

فكان لهذا الإحسان وقع حسن عند عموم الأهالى لتقديرهم أعمال هذه الفاضلة ومعرفة جميلها فحق لنا أن نفتخر بحضرتها ونضع لها جمل الثناء والشكر ونخط ما ارتجلهُ الفكر:

كل أهل الشرق قد قرت لها — بتمام الفضل والكل ثقه

ودليل القول مولانا الخليفة — أولاها وسام الشفقه

ولسان الحال نادى قائلاً — وافق الكحل سواد الحدقه

(فتح اللّه جاويش)

(تنبيه)

لدينا مقالة سابغة الأذيال نابغة المعانى من السيدة مريم مزهر عن مآثر وفضائل حضرة الجليلة الفاضلة البارونه الكسندرينا عقيلة جناب الوجيه الفاضل سعادتلو أفندم موسى افندى فريج سنزين بها صدر الفتاة بعددها القادم إن شاءَ اللّه.

لا كمال قبل الأعمال

ذكرنا فى الجزء السابع من جريدتنا بأن السيدة الفاضلة إليزا بريطوين هى من أعظم مثريات لندن، ومن أشهر نساء الإنكليز بالفصاحة والبلاغة وحسن الإنشاء